منظمة الطليعة العربية في تونس

الطليعة العربية في تونس

خَيبَةُ المَسعَى

صعود وسقوط الحزب الشيوعي العراقي في عهـــــد عبد الكريم قاســـــم

1963-1958



منشورات 1979 الطليعـة

خيبة المسعى | صعود وسقوط الحزب الشيوعي العراقي في عهد عبد الكريم قاسم

ظهر الشيوعيون على المسرح السياسي في العراق بقوة عبر أجهزة إدارية وعسكرية عدة نذكر منها:

المقاومة الشعبية: لم تمر أيام قليلة على نجاح الثورة حتى سمح عبد الكريم قاسم بإنشاء فرق مقاومة شعبية لحماية النظام بتأثير الحزب الشيوعي، وقد سيطر الشيوعيون عليها واتخذوها أداة لتحقيق أهدافهم الخاصة ومنها:

- تحقيق السيطرة على مقدرات الدولة.
- استخدام المقاومة الشعبية أداة قمع وإرهاب وتهديد ضد خصومهم وهم جميع الأحزاب الوطنية والقومية التي تحالفت في جبهة الاتحاد الوطني.
- جعل المقاومة الشعبية، مقاومة عسكرية مرتبطة بالحزب، ولها كيانها الذاتي، ويكون مدربوها من الحزبيين.

ويبدو أن عبد الكريم قاسم سرعان ما أدرك على ضوء تقرير رفعته مديرية المخابرات بينت فيه بأن الحزب يهدف إلى خلق جيش شيوعي لا سلطان للدولة عليه، وإنما يخضع لقيادته الشيوعية، وجعله دولة ضمن دولة، وقيام «ديكتاتورية» حمراء تثير الرعب والفزع بين المواطنين، وأن الصدام بين هذه القوة المسلحة وبين بقية الفئات والأحزاب وحتى بينها وبين الجيش النظامي، واقع لا محالة، وأسهبت المديرية في سرد المحاذير الأخرى.

وبعد دراسة الموضوع من جوانبه كافة، أصدرت مديرية الحركات العسكرية كتاباً بتاريخ (٥ محرم ١٣٧٨هـ/ ٢٢ تموز ١٩٥٨م) بتنظيم المقاومة الشعبية في المدن والقرى، وعلى ضوء هذا التنظيم صدر قانون المقاومة الشعبية الذي حصر التدريب بضباط وصف ضباط الجيش بتاريخ (١٧ محرم/ ٤ آب)، تلقَّف الشيوعيون صدور القانون فوجهوا نداء طلبوا فيه من أعضاء الحزب ومؤيديه الانخراط الفوري في صفوف المقاومة(١).

---

(١) حسين، خليل إبراهيم: ثورة الشواف في الموصل ١٩٥٩م، جـ١ ص٢٧٦.

كان الإقبال شديداً على التطوع من مختلف التوجهات السياسية والحزبية وبدأت الميليشيات تظهر في شوارع العراق. وشارك في تدريب المقاومة الشعبية، بعض المسؤولين العسكريين، وعلى أثر إعفاء عبد السلام عارف من مناصبه، أُعفي الضباط الوطنيون والقوميون من تدريب المقاومة، وسيطر الشيوعيون عليها بمساعدة عبد الكريم قاسم وأنصاره.

ارتكبت المقاومة الشعبية أعمالاً غير إنسانية وأخلاقية، وخالفت القوانين والنظم المعتمدة مثل تفتيش السيارات في الشوارع، ومهاجمة البيوت الآمنة من دون إذن رسمي، والاعتداء على المواطنين، وابتزاز الأموال من التجار وأصحاب المحلات، ما أثار الرأي العام العراقي، فتعالت الاحتجاجات والاستنكارات من مختلف الفئات السياسية والحزبية غير الشيوعية، ومن عناصر الجيش وحتى من الحاكم العسكري نفسه بالإضافة إلى قادة الفِرق.

ودافع الحزب الشيوعي عن هذه الممارسات، واتهم المتذمرين والمتشكِّكين منها بالخروج عن النهج الديمقراطي وزعامة عبد الكريم قاسم، ولما بلغت الشكوى ذروتها أمر عبد الكريم قاسم بحل المقاومة الشعبية في (٨ صفر ١٣٧٩هـ/ ١٤ تموز ١٩٥٩م) أي بعد سنة تقريباً من قيامها.

المحكمة العسكرية العليا: قامت المحكمة العسكرية العليا على قطبين هما فاضل عباس المهداوي والحزب الشيوعي العراقي، وأضحت جهازاً دعائياً لهذا الحزب، وندوة يُلقي فيها الشيوعيون قصائدهم، ويُلوِّحون للمتَّهمين بالحبال لإرهابهم، ويؤلهون الزعيم (عبد الكريم قاسم) ويملأون القاعة بالتصفيق والهتاف، وكان الحزب يدفع عناصره الحزبية لحضور جلسات المحكمة ويحجب بطاقات الدخول عن الآخرين، ويختار الشهود من بين صفوفه[1].

لجان صيانة الجمهورية: رأى الحزب الشيوعي أن نجاح مخططاته في إخضاع العراق لسياسته يتطلب إخضاع موظفي الدولة وهم الفئة المثقفة والواعية والتي يصعب ترويضها، ولا يتحقق ذلك إلا بتشكيل لجان خاصة، سمَّاها لجان صيانة الجمهورية أسوة بما فعله الحزب الشيوعي المجري بعد قضاء الاتحاد السوفياتي على حكم راكوش ناج عام (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، وتتولى هذه اللجان تقديم المقترحات عن الموظفين المعارضين لسياسة الحزب بحجة عدم تجاوبهم مع الثورة، وإخلاصهم للزعيم، وبعد أن وافق عبد الكريم قاسم على اقتراح الحزب بتشكيل هذه اللجان، بدأ الحزب حملة تطهير وإرهاب ضد الموظفين المخلصين لوطنهم والذين يعتزون

---

(١) حسين: ص٢٨٤ ـ ٢٥٨.

بكرامتهم، وترك الموظفين الذين انصاعوا لتعليماته، وهكذا شلَّت أعمال هذه اللجان وتدخلها في شؤون الموظفين؛ سير أعمال الدولة، ودبَّ الرعب بين صفوف الموظفين، ووُضع الموظف غير المناسب في محل الموظف المناسب، وتراجعت كفاءة المؤسسات في إنجاز أعمالها، وشاعت الفوضى، عندئذٍ أدرك عبد الكريم قاسم عمق الهوة التي ينحدر إليها نظامه فأمر بعد مجازر كركوك في (٨ ـ ١٠ محرم ١٣٧٩هـ/ ١٤ ـ ١٦ تموز ١٩٥٩م) التي تورَّط فيها الشيوعيون بإيقاف نشاط هذه اللجان الأمر الذي عدَّه الشيوعيون نكسة للديمقراطية، وارتداداً عن النهج الديمقراطي[١].

المنظمات المهنية: أظهر الحزب الشيوعي نفسه أنه السند لعبد الكريم قاسم، فطالب بإجازة المنظمات المهنية والاجتماعية والنقابية التابعة له، لتمارس نشاطاتها وأعمالها الدعائية في ظل الشرعية، وقد حقَّق لهم ذلك فباشرت هذه المنظمات بعقد مؤتمرات نقابية دورية، واتخذ الحزب منها مناسبة لرفع شعاراته، واستعراض قوته بهدف الاحتكاك والصدام مع القوى الوطنية والقومية، وكوَّن الحزب نقابات وجمعيات مهنية عديدة تابعة له وسعى لربطها بالمنظمات العالمية ذات الصفة الشيوعية التي تحمل الأسماء نفسها، لتعزيز التأثير الشيوعي على المنظمات القطرية.

وقام الحزب الشيوعي بممارسات خاطئة وخطيرة عبر فعاليات هذه المنظمات والجمعيات في مسيراتها ومظاهراتها؛ في إرهاب الناس، وشق وحدة الصف الوطني، وتعميق الخلافات، وتأليه عبد الكريم قاسم، وإضفاء نعوت وألقاب العبقرية والبطولة والإبداع عليه، وتعطيل إمكانات العراق الكبيرة عن المشاركة في حركة التحرر العربي والعمل العربي المشترك.

وشكَّل الحزب لجنة الارتباط العليا، مهمتها تنظيم أعمال هذه المنظمات والنقابات في المسيرات والمظاهرات التي يقيمها الحزب في المناسبات، ورفع التقارير والشكاوى[٢].

وسائل الإعلام: سيطر الحزب الشيوعي على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ومعظم المقروءة بعد موافقة عبد الكريم قاسم وبخاصة بعد إقالة عبد السلام عارف وتسفيره، واستخدم هذه السيطرة في مهاجمة خصومه السياسيين وبخاصة دعاة الوحدة العربية واتهامهم بالعمالة والارتباط بالاستعمارين الأميركي والبريطاني وذلك لإرهابهم، وشل نشاطهم، وإبعاد الناس عنهم، وشتم الدول ورؤسائها باستثناء دول الكتلة الشرقية، وركّز على مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة، ورئيسها جمال عبد الناصر، ومنع نشر كل ما من شأنه التقريب بين الدول العربية.

---

(١) حسين: ص٢٨٩.

(٢) المرجع نفسه: ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

سواء بسبب روابطها التاريخية مع سورية أو بسبب تفاعل أهلها الاجتماعي والديني المحافظ أو بسبب تشابك وعيهم السياسي مع المحافظين الدينيين، وهذا يعني أن الأفكار غير الإسلامية من أي نوع لم تتمكّن من ضرب جذور لها في مجتمع الموصل، ونتيجة لذلك كان التيار الديني السني والقومي العربي هو السائد مع استثناء وجود أحياء غالب سكانها من المسيحيين أو الأكراد حيث كان تعاطفهم التقليدي مع اليسار.

ووُجد في الموصل الضباط الساخطون الذين يعسكرون حول المدينة وقد أغاظهم إما ما عدُّوه تنازلاً من عبد الكريم قاسم للشيوعيين وإما فشله في تشكيل مجلس قيادة فعّال للثورة يشارك فيه الضباط الأحرار بشكل بارز.

كان معارضو عبد الكريم قاسم السياسيين والقوات المعادية له في موقع الموصل ويشملون الناصريين والبعثيين والإخوان المسلمين، قد تجمعوا وتضامنوا أكثر بعد إعلان الحكم على عبد السلام عارف في (٢٨ رجب ١٣٧٨هـ/ ٧ شباط ١٩٥٩م) والذي أعقبه استقالة محمد مهدي كبة من مجلس السيادة، وكذلك استقالة الضباط القوميين عبد الجبار الجومرد وناجي طالب وبابا علي الشيخ محمود وفؤاد الركابي ومحمود صالح محمود وصدِّيق شنشل؛ من الوزارة[1]، وقد عُيِّن وزراء جدد بدلاً منهم من أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي.

الواقع أن قرار مركزة الفعاليات العسكرية حول الموصل والذي اتخذته المعارضة، ارتبط بإعلان جريدة الحزب الشيوعي العراقي، اتحاد الشعب، في (١٤ شعبان/ ٢٣ شباط) الذي ينص على أن أنصار السلام بصدد تنظيم مهرجان وطني في الموصل في (٢٥ شعبان/ ٦ آذار) يرعاه عبد الكريم قاسم وذلك رداً على المهرجان الذي أقامه القوميون والبعثيون بمناسبة ذكرى الجلاء عن بورسعيد، وقد حاول الشيوعيون وأنصار عبد الكريم قاسم إفساده، وحضر المهرجان آلاف الشيوعيين ومناصريهم الذين جاؤوا من كل أنحاء العراق.

والحقيقة أن تنظيم المهرجان الشيوعي كان للتدليل على قوة اليسار في الموصل، والتأييد الذي يتمتع به في البلاد بعامة في وجه الإشاعات المتزايدة عن حركة قادمة تُنفِّذها حامية الموصل ضد نظام عبد الكريم قاسم؛ إلا أنه عُدَّ تحدياً واستفزازاً لأهل الموصل لا يمكن السكوت عنه وهم من المنادين بالوحدة.

واجتمع عبد الوهاب الشواف آمر اللواء الخامس ومركزه الموصل، بعيد الكريم

---

(١) مذكرات العمد الركن جاسم كاظم العزاوي، ص٢٠٩ ـ ٢١٠، عبد الحميد: ص١٧٨.

قاسم، وطلب منه إلغاء تنظيم المهرجان لأن الوضع في المدينة متأزم والناس ثائرة، وهو لا يستطيع ضمان عدم حصول اصطدامات دموية، إلا أن قاسم أصرَّ على تنظيم المهرجان، وحمَّله مسؤولية أي حادث يعرقل ذلك[٢].

أدرك الضباط القوميون ألا فائدة تُرتجى في إقناع عبد الكريم قاسم بتغيير موقفه، لذا أعادوا تنظيم صفوفهم ووضعوا خطة تقضي بالقيام بعصيان مسلح يقوم به اللواء الخامس في الموصل، وتبدأ القطاعات العسكرية الأخرى بعد ذلك بتأييد الحركة، وتقوم مجموعة من الضباط بقيادة رفعت الحاج سري بمهاجمة عبد الكريم قاسم خلال اجتماع مجلس الوزراء وإجباره على:

- إصدار بيان يُعلن فيه موافقة الحكومة بمعاداة الشيوعيين.
- إجراء تعديل وزاري برئاسته.
- تشكيل مجلس قيادة الثورة.

وتركوا تحديد موعد قيام الحركة للظروف المستجدة[١].

وكانت المخابرات المصرية والسورية قد وعدت قائد الحركة بدعم من الطيران وقوات الإسناد، ولكن أياً من هذا لم يحصل.

ونتيجة لموقف عبد الكريم قاسم اللامبالي، وقع عبد الوهاب الشواف تحت ضغط ضباطه في الموصل، فحدَّد توقيت قيام الحركة في (٢٧ شعبان ١٣٧٨هـ/ ٨ آذار ١٩٥٩م)، من دون التنسيق مع رفاقه الذين بذلوا أقصى ما يمكن لتأجيله، وكان هذا التحديد خطأ كبيراً؛ لأن الموصل كانت آنذاك تضج بالشيوعيين القادمين من شتى أنحاء العراق للاحتفال بعيد المرأة العالمي.

وأذيع في صباح ذلك اليوم البيان الأول من إذاعة الحركة في الموصل بتوقيع قائد الحركة عبد الوهاب الشواف استعرض فيه أوضاع العراق السياسية منذ ثورة تموز، وهاجم عبد الكريم قاسم، ووصفه بالطاغية المجنون والزعيم الذي خان الثورة وعاث بمبادئها وأهدافها، ونكث بالعهد، وغدر بإخوانه الضباط الأحرار، ونكَّل بأعضاء مجلس الثورة، وأبعدهم لتحل محلهم زمرة انتهازية رعناء، ودفعته شهوته العارمة إلى تصدُّر الزعامة، واعتمد على فئة تدين بعقيدة سياسية معينة لا تملك من الرصيد الشعبي غير التضليل والهتافات والمظاهرات[٢].

كان عبد الكريم قاسم أثناء إذاعة البيان يحضر احتفالاً في سينما الخيام بمناسبة عبد المرأة العالمي تقيمه رابطة الدفاع عن حقوق المرأة، وهي إحدى المنظمات التي يسيطر عليها الشيوعيون، وأُبلغ بالخبر بعد انتهاء إلقاء خطابه، فغادر فوراً إلى وزارة الدفاع، وأخذ يستعد للقضاء على الحركة، فأحال عبد الوهاب الشواف إلى التقاعد، وعدَّه عاصياً هو ومن يؤيده، وخصَّص جائزة ماليه لكل من يُلقي القبض

---

(١) مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي: ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) المرجع نفسه: ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

عليه حياً أو ميتاً، وحرَّض الجنود وضباط الصف ضد العصاة[١].

تردَّدت قِطَع الجيش كلها في تأييد الحركة، وبقي اللواء الخامس وحده في الموصل معلناً العصيان ضد بغداد، وذلك بسبب عدم التنسيق معها وعدم علمها بالتوقيت وتفاصيل الخطة، كما أن عبد الوهاب الشواف أعلن نفسه قائداً للحركة دون اتفاق مسبق، فأحدث بلبلة في صفوف الضباط، ما أثَّر سلباً على نفسية قائده ناظم الطبقجلي الذي تردَّد في تأييدها، وكان الموقف يتطلب أن تُعلن الحركة باسمه حتى يستطيع ضمان تأييد الضباط الذين هم أقدم رتبة من عبد الوهاب الشواف، وكان هذا سبباً آخر من أسباب إخفاق الحركة[٢].

الواقع أن الحركة حملت عوامل فشلها منذ بدايتها، فقد افتقرت إلى قيادة تمتلك سرعة اتخاذ القرار وتستطيع أن تفرض نفسها على الأحداث فضلاً عن أن عبد الوهاب الشواف لم يكن يسيطر حتى على مقره، وكان مخترقاً، إذ في الوقت الذي بلغت فيه حركته أوجها كانت الغرفة المجاورة لغرفته تتصل بوزارة الدفاع وتعطي وصفي طاهر مرافق عبد الكريم قاسم تحركاته لحظة بلحظة، وينقلها طاهر إلى عبد الكريم قاسم الذي ينقلها بدوره إلى سلاح الجو الذي أمره بالقضاء على الحركة، فقصفت الطائرات مقر عبد الوهاب الشواف وأصيب بشظية، فذهب إلى المستشفى لتضميد جراحه من دون حراسة على الرغم من تحذير ضباطه، وأعلن راديو بغداد في تلك اللحظة عن مقتل عبد الوهاب الشواف وانتهاء حركة التمرد ما شجع الضباط وضباط الصف والجنود على التمرد عليه وإعلان الولاء مجدداً لثورة تموز ولقائدها عبد الكريم قاسم، وسرعان ما تجمَّع هؤلاء للفتك به طمعاً في الجائزة، فسحب مسدسه وانتحر، ثم هاجم الجند الضباط المؤيدين للحركة وقتلوا عدداً كبيراً منهم، وتمكَّن بعضهم من الفرار إلى سورية[٣].

أسفرت الحركة عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، جاوز بضعة آلاف، منهم قادة ومسؤولون في البعث والقوى الناصرية وضباط وجنود من الوحدات النظامية في حين لم يتضرَّر النظام ولا الشيوعيون، وعمَّت السرقة والنهب والاعتداءات واقتحام المنازل، وتمكَّن عبد الكريم قاسم في نهاية الأمر من إخماد الحركة.

بعد فشل الحركة أُحيل ضباطها إلى المحكمة العسكرية الخاصة برئاسة المهداوي، وشُكِّلت لجنة تحقيق برئاسة هاشم عبد الجبار وهو أحد الشيوعيين المتشددين، واستغل الشيوعيون هذا الفشل للتخلص من الضباط القوميين والعمل على تصفيتهم من

---

(١) عبد الحميد: ص١٨٥.
(٢) المرجع نفسه: ص١٨٥ ـ ١٨٦.
(٣) المرجع نفسه: ص١٨٦، مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي ص٢٢١ ـ ٢٢٣.

الجيش، فزجوا بآلاف العسكريين والمدنيين الحزبيين من مواقع أربيل وكركوك وبغداد في السجون والمعتقلات بتهمة التآمر، وكانوا يتلذذون بتعذيبهم، وأصدرت المحكمة العسكرية الخاصة أحكاماً قياسية شملت إعدام تسعة وعشرين ضابطاً ومدنياً واحداً، وأحكاماً بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة طالت سبعة وعشرين آخرين، ونُفِّذ حكم الإعدام بالمحكومين وكان من بينهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري[١].

تصفية النفوذ الشيوعي

خرج عبد الكريم قاسم منتصراً بعد القضاء على حركة عبد الوهاب الشواف والقوى القومية، وكان الموقف السياسي في العراق لصالحه، وبإمكانه أن يستغله في تقوية مركزه على حساب الشيوعيين الذين ازداد تدخلهم في شؤون الدولة تمهيداً للاستيلاء على الحكم، فسيطروا على الشارع العراقي بالقوة، وعملوا على السيطرة على الجيش عبر إبعاد الضباط القوميين، واعتقدوا بأنهم السبب الرئيس في إفشال المؤامرات ضد الحكم، لذلك لا بد لهم من المشاركة في السلطة، فطرحوا شعار الاشتراك في الحكم في (٢٢ شوال ١٣٧٨هـ/ ١ أيار ١٩٥٩م) خلال المسيرة بمناسبة عيد العمال العالمي، وأخذوا يُرّوجونه في أوساط الجيش، وأقاموا احتفالاً في بهو الأمانة (حدائق قائمة الشعب) وحاولوا الاستيلاء على الحكم يوم (٣ ذي الحجة ١٣٧٨هـ/ ١٠ حزيران ١٩٥٩م) بواسطة اللواء المدرع السادس بقيادة العقيد سلمان الحصان وهو آمر اللواء، وأعدُّوا الدبابات، وحجزوا الضباط وضباط الصف غير الشيوعيين، غير أن المحاولة كُشفت وأحبطت، واعتُقل كثير من ضباطهم، وأعلن عبد الكريم قاسم بعد ذلك بأن العراق لن يكون شيوعياً، وأنه هو لن يكون كذلك، وأضاف بأنهم أخطأوا التقدير، وانحرفوا بعد أن منحهم الحرية بعد الثورة، وانتقد أعمالهم الفوضوية، وشجب بعنف ما حدث في مدينة كركوك من مجازر تورطوا فيها في (محرم ١٣٧٩هـ/ تموز ١٩٥٩م)[٢]، وحدَّ من نشاط النقابات التي يُشرفون عليها، ووجد الشيوعيون أنفسهم أمام مأزق شعبي وإدانة وطنية وتاريخية خطيرة، إذ ظهروا مسؤولين عن مجزرتين كبيرتين، مجزرة الموصل ومجزرة كركوك[٣].

أخذت العزلة تحيط بالحزب، وبدأت مراكزه تتعرَّض للهجمات، وقياديوه للتصفية

---

(١) عبد الحميد: ص١٨٧ ـ ١٨٨، ص١٩١. مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي ص٢٢٣ ـ ٢٢٦.

(٢) وقعت أحداث كركوك ضد التركمان الذين أرادوا الاحتفال بالذكرى السنوية الأولى للثورة بموكب منفرد وخاص بهم، فتعرَّض موكبهم لإطلاق نار، وجرت أعمال تصفية بحقهم على مدى يومين.

(٣) مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي، ص٢٣٢ ـ ٢٣٥.

على يد القوى المعارضة، فاضطروا إلى زيادة ارتباطهم بنظام عبد الكريم قاسم على الرغم من ابتعاده هو عنهم، فبدوا وكأنهم ربطوا مصيرهم ومصير حزبهم بمصيره.

ولعل أكبر الخسائر المهمة والجسيمة التي مني بها الشيوعيون كانت في صفوف القوات المسلحة، حيث كان يتم وخلال بقية حكم عبد الكريم قاسم، إما إحالة الضباط الذين كان يشك فيهم بأنهم شيوعيون، على التقاعد، وإما نقلهم إلى المناطق البعيدة من دون جنود وأسلحة تحت تصرفهم.

واجه الحزب الشيوعي العراقي مشكلات عدة نذكر منها:

ـ بقاء تنظيماته سرية على الرغم من علنية نشاطه ما أدى إلى صعوبة سيطرة القيادة على القواعد الحزبية(٥).

ـ أخطأ الحزب في تقدير قواه واستهان بدور القوى الوطنية الأخرى(١).

ـ موقف الحزب من نظام الحكم ومن عبد الكريم قاسم، ويبدو أن ثقل السياسة السوڤياتية في المنطقة العربية بعد الثورة العراقية، هو الاعتماد على نظام عبد الكريم قاسم ودعمه، ما انعكس على سياسة الحزب الشيوعي العراقي الذي واصل مساندته وتبعيته لعبد الكريم قاسم حتى اللحظة الأخيرة، وحدَّد هذا التوجه سلوك الحزب تجاه حزب البعث العربي الاشتراكي.

ظهر التصدع في جسم الحزب الشيوعي العراقي في عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) عندما نشر سلام عادل مقالات بعنوان: (تحيا اللينينية)، متأثراً بالتوجه الصيني وتدعو إلى اتباع خط مغاير للخط السوڤياتي، ما أدى إلى اتهامه بعدم الولاء الأممي(٢).

وبحكم علاقة الحزب الشيوعي العراقي بالحزب الشيوعي السوڤياتي والتضامن الأممي الذي يُعدّ الخروج عنه خروجاً عن المبادئ الماركسية ـ اللينينية، فإن الحزب الشيوعي العراقي يتأثر سلباً أو إيجاباً بالظروف الدولية التي تواجه الحزب الشيوعي السوڤياتي(٣).

أدَّت تلك الآراء والمواقف المتضاربة داخل قيادة الحزب إلى ظهور تكتلات داخلية عدة نذكر منها:

توجُّه يرى أن الديمقراطية والقيادة الجماعية انعدمت داخل الحزب، وظهرت القيادة الفردية، ومثَّل هذا التوجه: بهاء الدين نوري، وعامر عبد الله وزكي خيري ومحمد حسين أبو العيس، فتكتَّلوا ضد سلام عادل ما دفعه إلى تكوين معارضة أقصتهم من اللجنة المركزية(٤).

---

(١) جريدة اتحاد الشعب، العدد ١٦١، تاريخ ٣ آب ١٩٥٩م.

(٢) الحاج، عزيز: صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق، آفاق عربية، العدد ١٠ السنة الخامسة حزيران ١٩٨٠م، ص٦.

(٣) المرجع نفسه، العدد ٨، السنة الخامسة، حزيران ١٩٨٠م.

(٤) عبد الكريم، سمير: أضواء على الحركة الشيوعية، جـ٤ هامش صفحة ٢٦.

ـ توجُّه يرى وجوب عدم التعاون مع حكومة عبد الكريم قاسم بوصفها حكومة «بورجوازية» وركَّز نشاطه ضد عامر عبد الله الذي كان أكثر القادة الشيوعيين علاقة مع عبد الكيم قاسم .

ـ توجُّه يدعو للوقوف إلى جانب الحزب الشيوعي الصيني وتبني آرائه.

استغل عبد الكريم قاسم هذه التكتلات داخل الحزب الشيوعي العراقي، لإضعافه، فدفع داود الصايغ إلى تكوين حزب شيوعي ليكون البديل عن جماعة اتحاد الشعب[(١)]، فقدَّم طلباً إلى وزارة الداخلية لمنحه الإجازة، كما قدَّم في الوقت نفسه زكي خيري وحسين أحمد الرضوي وعامر عبد الله طلباً إلى وزارة الداخلية لإجازة الحزب الشيوعي العراقي، فأُجيز حزب داود الصايغ، ورُفض طلب زكي خيري ورفيقيه وذلك بتوجيه من عبد الكريم قاسم بحجة أنه لا يجوز وجود حزبين شيوعيين في آن واحد وفي بلد واحد[(٢)].

حاولت جماعة زكي خيري إفساد حزب داود الصايغ وعدَّت أعضاءه انتهازيين يريدون تقويض النظام والضبط الحزبيين، وإضعاف الثقة بالقيادة، ومحاولة افتعال حركة وانتحال اسم وتاريخ الحزب الشيوعي العراقي[(٣)]، لكن المحاولة فشلت.

حظي الحزب الشيوعي العراقي المجاز بدعم عبد الكريم قاسم المباشر، فأمر بمساعدته مادياً والاشتراك في جريدته التي أصدرها باسم المبدأ، وأرسل هذا الحزب في المقابل، برقية إلى عبد الكريم قاسم بمناسبة الذكرى السنوية الثانية للثورة، أعرب فيها عن تأييده وتكريس جميع طاقاته وفعاليات الحزب، للدفاع عن الجمهورية والنهج الديمقراطي، وأن مهمة الحزب الرئيسة هي من أجل ضمان توطيد وتطوير الجمهورية التحررية[(٤)].

وجرت محاولات عدة من أجل توحيد الحركة الشيوعية باءت كلها بالفشل، وتجاه ذلك، أخذت جماعة زكي خيري، اتحاد الشعب، تدعو إلى إنضاج الظروف لجعل الحزب الشيوعي العراقي حزب جميع الشيوعيين العراقيين بعد تطهيره من كل العناصر «الانتهازية والمنحرفة» إلى أن تصبح وحدة الحركة الشيوعية في العراق حقيقة واقعة[(٥)].

---

(١) مذكرات العميد الركن جاسم كاظم العزاوي ص٢٥٠، علي: ص١٦٧.

(٢) المرجع نفسه: ص٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٣) جريدة اتحاد الشعب، عدد ٣٠١، تاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٦٠، وعدد ٣٠٢ تاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٦٠م.

(٤) علي: ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٥) المرجع نفسه: ص١٧١ ـ ١٧٢.

يعد حزب البعث حزباً ناشئاً في العراق، فوجوده الفعلي فيه يعود إلى سنة ١٩٥٢، ويقول خالد علي الصالح مسؤول قيادة فرع بغداد حينذاك، وعضو القيادة القطرية للحزب فيما بعد، أن الحزب لم يكتمل هيكله التنظيمي في العراق حتى سنة ١٩٥٤، وقبل هذا التاريخ كان البعثيون مجرد شرذمة، وكان نشاطهم الرئيسي في بغداد[١].

وفي معرض تقييم فائز إسماعيل، مؤسس التنظيم البعثي في العراق، نشاط وسلوك البعثيين الأوائل في العراق، وعلى الرغم من تركيزه على الإيجابيات وحدها وإهماله متعمداً السلبيات، على حد قوله، فإنه كتب يقول: إن الخبرة كانت تنقصهم، ولم يكن يفهموا محيطهم، ويفتقرون إلى علاقات صحيحة بالمجتمع العراقي، وإلى المرونة في النقاش وفي العلاقات الاجتماعية، فضلاً عن افتقارهم إلى الثقافة والعمق[٢].

ومما له دلالاته ويؤيد ما ذهب إليه فائز إسماعيل، ما ورد في مذكرات محمد حديد، فقد كتب حديد يقول: وبعد وقوع العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، تداولنا (يقصد ممثلي كل حزب في جبهة الاتحاد الوطني)، واتفقنا على أن نخرج مظاهرات عامة تمثل جميع الأحزاب، وخلال المناقشات طرح فؤاد الركابي (أول مسؤول عراقي للبعث في العراق) القيام بإلقاء قنابل حارقة على المخازن في الشوارع التي تمر بها المظاهرة، فاستنكرت جمع الأطراف الاخرى هذا الاقتراح وخاصة محمد مهدي كبه الذي حذر من اللجوء إلى مثل هذه الأساليب[٣].

ومما يدل على نزعة البعث الانفرادية، إنه في صباح اليوم المعلن لخروج المظاهرات، خرج البعثيون وحدهم في مظاهرة صغيرة في منطقة الشورجة إلى شارع الرشيد، ولأنهم كانوا لا يتعدون العشرات فقد استطاعت الشرطة أن تفرقهم قبل اقترابهم من ساحة الوثبة (حافظ القاضي)[٤].

---

(١) للتفاصيل ينظر: مؤلفه، المصدر السابق، ص٣٨-٤٢.

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي، البدايات في ذاكرة فائز إسماعيل (دمشق، ١٩٨٠) ص٧٩-٨٠.

(٣) حديد، المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩٦.

وعلى ضعف البعث الذي توجه أفراده إلى الشارع بعد ١٤ تموز ١٩٥٨، فقد اصبح التنظيم الحزبي الأقوى للحركة القومية في العراق[١] . والسبب ان الكثيرين كانوا يعتقدون أنهم (حزب جمال عبدالناصر) الذي كان يتمتع بشعبية واسعة لدى القوى الوطنية كافة، وقد استغل البعث هذا التوجه بتحالفه مع الاتجاهات الناصرية الوحدوية، وكذلك كسب البعث انصاره من أولئك الحاقدين على الشيوعية قبل كل شيء، بينهم ضباط مغامرون وابناء اقطاعيين تضررت مصالحهم، ورجال أمن ارتبطت حياتهم بمعاداة الشيوعية.

حاول حزب البعث وفي الأيام الأولى لقيام الثورة السعي لتكتيل القوى القومية والدينية المحافظة بوجه الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكوردستاني، بتشديد ودون تحفظ وبتوجيه من ميشيل عفلق على وجوب قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، وكان يريد أن يظهر للقوى القومية بأن ما يسعى إليه هو بناءً على طلب جمال عبدالناصر وتلبية لرغبته. فأصدر في ٢٨ تشرين الأول ١٩٥٨ مسودة ميثاق للتجمع القومي، دعا فيها تلك القوى إلى تشكيل جبهة قومية معادية للنعرات الإقليمية والطائفية ولدعم الثورة وتحقيق أهدافها، ومما تضمنه الميثاق: النضال من أجل الوحدة العربية، وأكد أن العراق جزء من الوطن العربي وان العرب والأكراد إخوة متساوون في الحقوق والواجبات وان "الاشتراكية طريق القومية العربية لبناء مجتمع تضامني تسوده العدالة الاجتماعية والمساواة" وعد الميثاق الاستعمار بمختلف أشكاله عدواً للقومية العربية. ونادى بالحياد الايجابي وبالديمقراطية بوصفها سبيلاً للشعب العربي ليحكم نفسه بنفسه[٢].

وكان يحضر اجتماعات الجبهة القومية أو التجمع القومى، وسماها الشيوعيون جبهة (أعداء الشيوعية) كل من: محمد صديق شنشل عن حزب الاستقلال، والدكتور هشام الشاوي عن الرابطة القومية، وحامد الجبوري عن حركة القوميين العرب، وطالب حسين شبيب عن حزب البعث، وشكري صالح زكي عن المحامين، والدكتور عزت مصطفى عن الأطباء، والدكتور أحمد عبدالستار الجواري عن الاساتذة والمعلمين، وناجي طالب عن الضباط القوميين المستقلين، وعدنان الراوي يحضر أحياناً عن الرابطة القومية وقد عقد التجمع ثلاثة اجتماعات بكامل أعضائه، وانتهى عملياً بعد نشأته بأشهر[٣] لعدم ثقة الأطراف الأخرى، لاسيما حركة القوميين العرب بالبعثيين الذين كانوا يريدون الزعامة

---

[١] الفكيكي، المصدر السابق، ص٨٧.

[٢] و.م.ن. الكتب الممنوعة والرسائل والنشرات، كتاب مديرية أمن لواء الموصل السري، العدد (١٦٦٣) ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٨. (ينظر الملاحق)

[٣] علي كريم سعيد، المصدر السابق، ص٢٣، ص٤٦.

لهم في كل شيء. وهذا يفسر خروجهم من جبهة الاتحاد الوطني، بتشكيلهم جبهة قومية من أحزاب وشخصيات غير مؤثرة.

ويبدو أن مدينة الموصل ولأسباب معروفة أبرزها طابعها العروبي الممتزج بالحرص على التمسك بالقيم والتقاليد الإسلامية كانت أول مدينة استجابت لنداء حزب البعث العربي الاشتراكي. فقد وافقت الفئات السياسية والشخصيات القومية والوطنية المستقلة فيها على التعاون وبمبادرة من قيادة الحزب في المدينة، تشكل ما سمي بـ (التجمع القومي - الديني) الذي ضم ممثلين عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب وجماعة الإخوان المسلمين وعدد من الشخصيات المستقلة وكانت مهمة هذا التجمع، الوقوف ضد ازدياد النفوذ الشيوعي ومقاومته[١]. وقد أصدر التجمع بياناً بهذا الشأن[٢].

وعندما اعتقل عبدالسلام عارف أصدر البعث بياناً ومما جاء فيه:

" ... المحاولة القائمة الآن للقضاء على هذه الحركة بتأليب السلطة وتهم التآمر المزيفة والدعاية المغرضة للاستيلاء على الحكم لا يمكن أن تنجح أبداً لان الحركة قد نبتت ومدت جذورها ويلتف حولها اليوم كل القوميين المخلصين والمدافعين عن عروبة هذا القطر ومصيره الموحد مع الأمة العربية ..." وان " المحافظة على الثورة ومبادئها لا يمكن أن تتحقق إلا بتنازل الشيوعيين عن خطة الاستيلاء على الحكم ويضمنها المحاولة الجارية الآن لضرب الاتجاه القومي في البلاد وفكرة الوحدة العربية وإزالة الجو الإرهابي ... واحترام الاتجاهات السياسية والتعايش السلمي معها... "[٣].

وكتبت جريدة الحزب الداخلية (وعي الطليعة) في تشرين الثاني ١٩٥٨، إن البعثيين " لا يخيفهم الإرهاب الفاشي وهم قادرون عل تحطيمه متى شاءوا ذلك ... إن البعث العربي الاشتراكي قادر وفي كل حين على تأديب هؤلاء الأوباش السفلة وعلى إيقافهم عند حدهم..." [٤].

---

[١] أنظر التفاصيل في: يحيى، المصدر السابق، ص ص ٢٤٧-٢٤٨.

[٢] علي محمد السرطاوي وعبدالحميد التحافي ذكرى الشهداء الاحرار في ثورة الموصل العربية الباسلة، (الموصل، ١٩٦٣) ص ص ١١-١٢.

[٣] بيان حزب البعث العربي الاشتراكي إلى (جماهير الشعب) في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ أنظر نصه في نضال البعث، ج٧، ص ص ١٨-٢٣.

[٤] أنظر نص المقال في، المصدر نفسه، ص ص ٢٤-٢٨ وأصدر الحزب جريدة (وعي الطليعة) في تشرين الثاني ١٩٥٨ وسارت على نفس نهج (الاشتراكي) التي توقفت عن الصدور. أنظر التفاصيل في: نصيف جاسم حمدان العزاوي، الصحافة السرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق منذ عام ١٩٥٢-١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت إلى مجلس كلية الاداب، جامعة بغداد، سنة ١٩٨٩، ص٦٤.

وبتوجيه من الحزب عزم قسم من العسكريين ومنهم المقدم صالح مهدي عماش في تشرين الثاني ١٩٥٨ على اعتقال عبدالكريم قاسم، إلا أن المحاولة لم تتم بسبب وشاية أحد الضباط الذين فوتحوا للاشتراك في العملية[١].

يبدو، وكما قال فائز إسماعيل، إن الوعي السياسي لدى قيادة حزب البعث لم يبلغ مستوى كافياً من النضج، والإدراك السليم، مما ألقى ظلالاً كثيفة على تطور الأحداث وطبيعتها، بل وحتى على لغة السياسة التي سادت الساحة يومذاك، إنها كانت لغة مفرقه بكل معنى الكلمة، تعتمد التهديد والوعيد والاتهام جزافاً بدل الحكمة والعقل وعض اللسان، فان العمالة والأوباش والسفلة وما شابه من نعوت أخذت تسود منشورات حزب البعث، والحزب الشيوعي إلى حد ما، إن ذلك الواقع المؤلم ترك آثاراً عميقة الغور في نفوس العراقيين، لم تزل إفرازاتها السلبية شاخصة حتى يومنا هذا.

ان استمرار الحزب الشيوعي العراقي ومؤيديه في الضغط على البعثيين ومحاولة إبعادهم عن الحركة الوطنية، وذلك بخروج المظاهرات الشيوعية التي كانت تهتف (خمسة بالشهر ماتوا البعثية)[٢] أدى يوماً بعد يوم إلى أن يصبح كل معارض لحكم قاسم بعثياً. وعندما استمرت أعمال الشيوعيين المناوئة للبعث واتخذت اشكالاً تمثلت بالاعتداءات الجماعية أصدر الحزب منشوراً في ٣٠ كانون الأول ١٩٥٨ حذر فيه من مغبة الاستمرار على هذا النهج " لان الاختلاف في وجهات النظر، ليس بالشيء الخطير ما دامت جميع الآراء تلتقي في خدمة أهداف الثورة ومبادئها ..." وان " أعمال الاستفزاز واعتداء السلاح يقتل أصحابه قبل أن يقتل غيرهم " وانه " سلاح ذو حدين يوم لك ويوم عليك، تجر البلاد إلى الفوضى ... وتفتح امام التآمر الاستعماري ابواباً واسعة" ودعا المنشور إلى وضع المصلحة الوطنية والقومية فوق المصالح والمكاسب الصغيرة[٣].

---

[١] لقد احيل معظم المشتركين في تلك العملية ومنهم صالح مهدي العماش على التقاعد او نقلوا الى وحدات غير فعّالة. للتفاصيل أنظر: العقيدي، المصدر السابق ص١٦٩.

[٢] عدّ الشيوعيون يوم اعتقال عبدالسلام عارف في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ يوماً احبطت فيه مؤامرة بعثية ونهاية للنشاط السياسي البعثي.

[٣] و.م.ن. الكتب الممنوعة والرسائل والجرائد والنشرات، كتاب مديرية امن لواء الموصل، سري للغاية، العدد(٣٣) ٦ كانون الاول ١٩٥٨، نشرة حزب البعث العربي الاشتراكي " الاستفزاز والاعتداء المسلح يخدم اعداء الثورة".

ان التطورات السياسية الداخلية اللاحقة وتبني الشيوعيين للاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة أوصل العلاقة بين تياري الحركة الوطنية إلى مرحلة القطعية التامة ثم الصراع[١] الدموي الذي تكبد فيه الطرفان خسائر فادحة[٢].

وان الذي دفع البعثيين للتصدي للشيوعيين، ما كان يلقاه الشيوعيون من تشجيع أطراف عسكرية لهم وتحريضهم إياهم[٣]، وتشجيع جهاز الشرطة الذي غدا يعرف البعثيين النشطين بهوياتهم واحداً واحداً، فقوى الأمن قد لا تحتاج إلى أكثر من غمضة عين لتقبض عليهم جميعاً على حد قول مدير إذاعة بغداد سليم الفخري[٤]، ويؤيد هذا القول سرعة اعتقال هيئة تحرير جريدة الجمهورية في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٨ و (٦٠) بعثياً بينهم عضو القيادة القطرية خالد علي صالح الدليمي[٥].

وإزاء النشاط المعارض للتيار القومي وفكرة الوحدة العربية وملاحقة اعضاء حزب البعث واعتقالهم وانحياز عبدالكريم قاسم إلى جانب الشيوعيين، ادركت القيادة القطرية للحزب، ان بقاء ممثل لهم في الحكومة لم يعد ينسجم والتطورات السياسية، لذا قررت سحب وزيرها فؤاد الركابي حتى انها كتبت نص الاستقالة، الا ان الركابي لم يقدم استقالته، مبرراً ذلك بأن جمال عبدالناصر كان ضد فكرة الاستقالة[٦] وانه كان يأمل يصلح الأمور وهو داخل الوزارة بدلاً من تركها. كما ان عبدالكريم قاسم وعده خيراً بعد أن اجتمع به.

لقد أدرك حزب البعث تماماً ان قاسماً لم يكن يقف كما كان يدعي فوق صراعات الأطراف الوطنية، ولاسيما بين القوتين الرئيستين، وانه انطلاقاً من ضعفه لجأ إلى المناورة لمنع أي منهما ان تصبح قوية، او السماح لهما بالاتفاق، الا ان معارضة التيار

---

(١) عزيز جبر شيال، دور حزب البعث العربي الاشتراكي في الحركة الوطنية في القطر العراقي ١٩٥٨-١٩٥٩، رسالة ماجستير غير منشورة. قدمت إلى مجلس كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، سنة ١٩٨٠، ص ١٤٢.

(٢) للتفاصيل أنظر: م.أ.ح، تقارير عن الاوضاع السياسية/ العراق، الملف (٩)" بطاطو، الكتاب الثالث، ص١٦٩" خدوري، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣) الفكيكي، المصدر السابق، ص٨٩.

(٤) أنظر تصريحه في ٩ كانون الاول ١٩٥٨ في: دان، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٥) م.أ.ح، تقارير خاصة ١٩٥٣-١٩٥٨، الملف (٢٤) مديرية الأمن العامة، العدد (١٠٧٥٤) ٢٦ كانون الاول ١٩٥٨.

(٦) أنظر تفاصيل اخرى في: ليث الزبيدي، المصدر السابق، ص٣٩٥" الفكيكي، المصدر السابق، ص ص ٩٨- ٩٩.

القومي من جهة وتوجيهات (قاسم) البعيدة عن الإيمان بالفكرة القومية العربية، كانت تفرض عليه الميل أكثر إلى جانب الشيوعيين، لذا تجدد اعتراض عدد من اعضاء القيادة القطرية للحزب، على بقاء فؤاد الركابي في الوزارة، ورفض هو الخروج من الحكم لأنه كان يرى –ولاسيما بعد سقوط عارف– ضرورة عدم قطع كل الروابط مع (قاسم)[(١)]، واحتجاجاً على ذلك قدم حازم جواد وعلي صالح السعدي استقالتهما من القيادة القطرية، فقبلها الركابي فوراً وعين بدلهما اياد سعيد ثابت[(٢)] ومدحت إبراهيم جمعة[(٣)] وطالب حسين شبيب[(٤)] وبهذا تمت مخالفة النظام الداخلي للحزب وأحكامه، رعاية للعلاقات مع الجمهورية المتحدة على ما يبدو[(٥)].

وللوقوف ضد محاولات الحزب الشيوعي في السيطرة على المنظمات الشعبية والمهنية وسوقها باتجاه مساندة السلطة، نشط أعضاء حزب البعث في أوساط مختلف الفئات الشعبية، فشكل مثلاً منظمة (نساء الجمهورية) وتولت مهاب درويش لطفي البكري رئاستها، وأخذت هذه المنظمة تنادي بالوحدة العربية[(٦)] وعمل الحزب كذلك على تشكيل مكتب مهني للعمال مهمته الاحتكاك بالأوساط العمالية لجذبها إلى صفوف الحزب ومعالجة مشكلاتهم والدفاع عن حقوقهم[(٧)] وشكل الطلاب البعثيون (اتحاد طلبة

---

(١) بطاطو، الكتاب الثالث، ص١٤٣.

(٢) ولد في بغداد سنة ١٩٣٣، تخرج في كلية التجارة، موظف حكومي من اسرة موصلية معروفة كان والده من الرعيل الاول من الوطنيين، أنظر: فتح الله، المصدر السابق، ص٧٨٣.

(٣) ولد في بغداد سنة ١٩٢٨، خريج كلية التجارة، عضو القيادة القطرية للحزب سنة ١٩٥٨–١٩٥٩، عين متصرفاً لواء الموصل بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. أنظر: بطاطو، الكتاب الثالث، ص٤٦٠.

(٤) ولد في الرميثة سنة ١٩٣١، انتمى إلى الحزب الشيوعي العراقي سنة ١٩٤٨ ثم الى حزب البعث، انتخب عضواً في القيادة القومية للحزب. أنظر: بطاطو، الكتاب الثالث، ص٢٨٤، ٣٢٠.

(٥) الفكيكي، المصدر السابق، ص٩٨. كان سب تعيين ثلاثة اعضاء في القيادة القطرية بدلاً من المستقيلين هو سفر عضو القيادة القطرية سعدون حمادي حينذاك إلى الخارج، أنظر: عليوي، دور حزب البعث العربي الاشتراكي ....، ص١٦٤.

(٦) للتفاصيل عن هذه المنظمة أنظر: م.ا.ح، منظمة نساء الجمهورية، الملف (٢٣/٨).

(٧) للتفاصيل عن هذا المكتب ونشاطه أنظر: عينا، المصدر السابق، ص٢١٢.

جمهورية العراق) وأصدروا بياناً في نهاية سنة ١٩٥٨، وبتوجيه من الحزب تشكلت (الطليعة الطلابية التقدمية) لمقارعة اتحاد الطلبة العام[١].

وعندما اشتد الصراع بين التيارين القومي والشيوعي وعلى الأخص بعد قمع حركة الشواف الانقلابية، إذ بلغ نشاط الحزب الشيوعي ذروته القصوى في الأشهر الأربعة التي أعقبت تلك الحركة، لذلك قرر البعث العمل الجاد للإطاحة بالنظام القائم ومن هنا بدأت تنفيذ فكرة اغتيال (قاسم)[٢].

---

[١] للتفاصيل عن هاتين المنظمتين الطلابيتين ونشاطاتهما أنظر: علي عارف السامرائي، حزب البعث العربي الاشتراكي والحركة الطلابية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت إلى مجلس كلية القانون والسياسة في جامعة بغداد، سنة ١٩٨٢، ص ص ١٩٧٦-١٩٨٠: الحصونة، المصدر السابق، ص ص ١٦٦-١٦٨.

[٢] ابراهيم خليل أحمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر (الموصل، ١٩٨٩) ص٢١٤.

الملاحق

*** برقية مساندة من الحزب الشيوعي الى عبد الكريم قاسم

سيادة رئيس مجلس الوزراء عبد الكريم قاسم المحترم

نهنئكم من صميم قلوبنا على خطوتكم المباركة التي وضعت نهاية حاسمة لعهد طويل من المآسي والمحن التي قاسى منها شعبنا المجاهد والنبيل على يد الاستعمار وأعوانه.

إننا نعبر عن تفاؤلنا بأن هذه الخطوة الحاسمة ستكون فاتحة عهد جديد، عهد حرية وتطور عراقنا الحبيب، وتبوء شعبنا البطل مركزه في الموكب الظافر، موكب العروبة المتحررة الناهضة، المحبة للسلام، ومواكبة الإنسانية العاملة من أجل تحررها الأبدي من الاضطهاد، والاستعمار.

إن شعبنا العراقي، بعربه وأكراده، سيسجل لكم بفخر جرأتكم وتفانيكم من أجل تحقيق أهدافه الوطنية الكبرى، وهو يحمي ويصون بدمائه الغالية جمهوريته الوطنية الفتية، وإنه لعلى ثقة كبرى من أن قدرته على القيام بهذا الواجب المقدس، ومن مساندة قوى التحرر العربية في جميع ديارها، وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة، ومن قوى الحرية والسلم في جميع أنحاء العالم وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي

إن اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي تضع قوى الحزب لمؤازرتكم ، وللدفاع عن جمهوريتنا البطلة

سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

14تموز 1958

*** مذكرة الحزب الشيوعي لعبد الكريم قاسم

سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم المحترم :

نعتقد أيها الأخ أن تجربة الحكم خلال الأشهر القلائل التي انقضت منذُ بدء الثورة قد أوصلتكم إلى حقائق واضحة نرجو أن تسمحوا لنا في التحدث معكم بشأنها:

إن اصطفاؤكم للحكم بعض العناصر الحزبية، ولاسيما بعض قادة الحزب الوطني الديمقراطي، هو بلا شك عمل سديد، وقد برهنت التجربة على سداده، حيث قام وزيرا الحزب الوطني الديمقراطي بواجباتهما بكفاءة، وإخلاص كما نظن. وكان اختياركم لبعض العناصر المستقلة، في بدء الثورة أمراً ربما وجدتم أن الظروف كانت تستلزمه وقتئذٍ لكن سير الثورة الحثيث، بقيادتكم الواعية والنشطة، قد خلق للحكم مهمات جديدة وخطيرة، عاصرتها بعض الصعوبات الجدية، المنبعثة أساساً من نشوء تناقض بين تركيب السلطة، وبين القوى الشعبية الحقيقية التي تمثلها هذه السلطة

ومن المعلوم أيها الأخ، أن الغالبية الساحقة من أبناء الشعب، هي من الفلاحين والعمال، والجماهير الكادحة، وثمة تاريخ طويل من الجهاد يشهد بأن ليس في العراق حزب من الأحزاب يستطيع أن يمثل أماني وأهداف هذه الجماهير كما يمثلها حزبنا أولاً، وسائر الأحزاب، والقوى الديمقراطية ثانياً.

إن تاريخنا حافل بالحقائق، يشهد بأن هذه الجماهير قد أولت حزبنا، وسائر القوى الديمقراطية ثقتها التامة، ومنحتها حق التعبير عن مصالحها، هذا بالإضافة إلى فئات واسعة من المثقفين ترى في كفاح حزبنا تحقيقاً لأمانيها في التحرر والازدهار.

ومما لا ريب فيه أن متابعة السير في إبعاد الممثلين الحقيقيين لهذه الجماهير عن السلطة السياسية سيوجد حالة من التناقض يستعصي حلها، وسينشأ من ذلك صعوبات حقيقية في إدارة شؤون السلطة، كما أتضح من تجربة الأشهر الأخيرة.

لقد كان اعتمادكم في تكوين السلطة على بعض العناصر البعيدة في أفكارها عن مشاعر الشعب، والتي لا تملك تجربة جهادية، تمكنها من التعرف على حقائق الوضع الشعبي، قد أوجد للحكم بعض الصعوبات التي لا تخفى عليكم، وأقام في طريق الثورة بعض العراقيل.

كما أن إدخالكم في السلطة بعض العناصر المشبوهة، أو الضعيفة القدرة على تفهم حقيقة الثورة، ومجاراة سيرها الحثيث، قد خلق للحكم، ولكم شخصياً، صعوبات وأعباء، نعتقد أنكم قد عانيتم منها الكثير.

ونتيجة لذلك كله، اضطررتم إلى توزيع الجهد، بدلاً من تركيزه، واضطررتم لأن تعملوا بيد واحدة، وتحجزوا الخطر باليد الأخرى، اضطررتم لأن تناموا بعين واحدة، وتتركوا الأخرى ساهرة مترقبة.

نحن نعرف ـ كما يعرف أبناء الشعب ـ أنكم أصبحتم مضطرين، بسبب هذا الوضع غير الطبيعي في تركيب السلطة، أن تكرسوا قسطاً كبيراً من جهودكم، ومن وقتكم، لرقابة المساعي المريبة، ولشل الأيدي العابثة

كما حمّلتم أنفسكم مهمة أخذ الأعباء عن بعض المسؤولين، الذين تعوزهم الجدارة، والنية الخالصة، وكذلك عن بعض الأجهزة التي لم تبرهن على نزاهة قصدها في تثبيت كيان الجمهورية، ومسايرة سياستها الديمقراطية

لقد أصبح واضحاً أنكم أخذتم بأيديكم جملة من المسؤوليات والمهام التفصيلية، حرصاً منكم على تحقيق أهداف الثورة، وضمان سيرها المظفر ومما لاشك فيه أن هذه المسؤوليات والمهام، لو كانت بأيدي أمينة وقديرة، لما اضطررتم إلى ذلك، ولتيسّر لكم وقتٌ فسيح تستطيعون فيه التفكير والمساهمة بقسط أوفر في رسم السياسة العليا للبلاد، والتركيز على المسائل الكبرى فقط.

إننا نعلم أن رئيس الوزراء يأخذ على عاتقه الآن قسطاً كبيراً من المهام، الكثيرة والثقيلة، وإنه لهذا السبب، يحمل نفسه فوق طاقتها، ونحن على يقين بأن ذلك ليس في مصلحة الجمهورية أبداً، لأن شؤون الحكم ينبغي أن توزع على أيدٍي مخلصة وأمينة، لكي يستطيع قائد الدولة أن ينصرف إلى مسائل السياسة العليا.

إن تفسيرنا لهذا الوضع المرهق هو، كما بينا، وضع غير طبيعي في تركيب السلطة إن في العراق وضع خاص وفريد، ونحن لا نضيف إلى الحقيقة جديداً، عندما نذكر أن القوى الديمقراطية في البلاد، هي القوى الساحقة الكفوءة، والدرع الحقيقي لوقاية مكاسب الثورة والحكم الوطني تلك هي الحقيقة التي برهنتها حقائق السنوات العصيبة، قبل الثورة، وكشفت عنها وقائع ما بعد الثورة

وليس اعتباطاً أن تمنح الجماهير الشعبية ثقتها المطلقة للحركة الوطنية الديمقراطية، وتتبنى شعاراتها وأهدافها، وتذود عن سياستها

إن الجماهير الساحقة من الشعب تجنح بقوة لا مثيل لها صوب الحركة الديمقراطية، وهي تفعل ذلك عن وعي أصيل، وإدراك واقعي سليم

لقد تعرفت الجماهير، من تجاربها المريرة أن القوى الديمقراطية إنما تمثل عن إخلاص وجدارة، أعز أمانيها ومطامحها، وإنها تضم في صفوفها صفوة من أبناء البلاد النجباء البواسل، الذين لم يتلوثوا بأدران الخيانة، ولم يهادنوا المستعمر، أو استسلموا لطغيانه، ولم يطمحوا إلى أكثر من تحقيق الخير للبلاد

تعلمون أيها الأخ أن القوى الديمقراطية كانت ولا تزال وستظل إلى النهاية الأساس للحكم الوطني الشعبي الأصيل، والصخرة العنيلة ، التي تتحطم عليها مؤامرات المستعمرين، ومكائد أعداء الثورة

ولقد رأى الجميع بأم أعينهم، أن الذين تنكبوا عن الحقيقة وراحوا يناطحون الصخرة لم يجنوا من وراء طيشهم غير تهشيم رؤوسهم، وارتدادهم إلى أعقابهم خاسرين، ذلك هو واقع العراق أيها الأخ.

ولذلك يصبح واضحاً أن قضية الحكم لا يمكن أن تحل إلا بالاستناد إلى هذا الواقع، وإن أي حل آخر لا يمكن أن ينتهي إلا إلى نتيجة واحدة، إلى أن تأخذوا على عاتقكم أعباء تفيض عن قابلية الإنسان، وفي هذه الحالة ستجدون أنفسكم في حالة من الإرهاق المستمر، تعملون بيدٍ، وتضربون باليد الأخرى، وتنامون بعينٍ، وتحرسون بالعين الأخرى

إن الحل الوحيد، الحل الطبيعي المنسجم مع واقع الحال في العراق، هو الحل الذي يتوجه إلى إعادة النظر في تشكيلات السلطة، على أساس الاستناد إلى مبدأ التعاون بين قيادة الحكم العليا من جهة، وبين الجبهة الشعبية، المكونة من الحزب الشيوعي، والحزب الوطني الديمقراطي، والقوى الديمقراطية الجديدة في الجيش، والأوساط الديمقراطية الأخرى، والعناصر القومية النظيفة

تلك هي الحقيقة الكفوءة المخلصة، التي تمثل عن جدارة وحق، أهداف ومصالح الغالبية الساحقة من الشعب وإن الحكم الذي يستند إلى هذه القاعدة الشعبية الواسعة والمتينة، هو الحكم الديمقراطي الصحيح، والسلطة التي تتكون على هذا الأساس، هي السلطة القوية التي تتمتع بالنفوذ والبأس، والقادرة فعلاً على قيادة الثورة نحو أهدافها، والصمود بوجه أحداث الزمن. ثمة من له مصلحة في تجنيب سياسة البلاد عن السير في هذا الطريق القويم إنهم يهدفون إلى تعميق التناقض في طبيعة الحكم، وإرباك مسيرة الثورة، وبالتالي إضعاف السلطة، وحفر هوة بينها وبين الجماهير الواسعة من الشعب إن هؤلاء الذين يضربون على وتر[الخطر الشيوعي]، إنما هم أناس يرددون شعارات الاستعمار، وينفذون خططه، ومؤامراته على كيان جمهوريتنا البطلة إنهم يسيرون على سِنة الاستعمار في التخريب والدس، على ذات الطريق التي سار عليها نوري السعيد، وإضرابه من الطغاة، في كل زمان ومكان.

إنهم، مثلاً، يهوشون ويفترون ويدسون على حزبنا المنشورات والشعارات والسياسات، ويزعمون أننا إذ نضع إمكانياتنا وطاقاتنا في خدمة أهداف الثورة، وحراسة الحكم الوطني من الأخطار، إنما نسعى إلى هدف خفي، ألا وهو اغتصاب السلطة، وفرض النظام الشيوعي في البلاد!.

إن المرء لا يحتاج إلا إلى قليل من حسن النية، لكي يتبين أهدافنا الحقيقية في دعم الحكم الوطني، تلك هي الأهداف التي ليس من أخلاقنا أن نكتمها على أحد .

إن الشيوعيين أُناس لا يتقنون صناعات السياسة، وهم إذ ينبرون للدفاع عن حياض الثورة، ويدعمون قيادة عبد الكريم قاسم، وسياسته، إنما هم يفعلون ذلك عن إيمان، بأن في عملهم هذا خدمة كبرى لمصالح شعبنا، ولذلك فهم رغم كل هذه الضوضاء التي تثار حولهم، واثقون بأنفسهم ثقة لا تتزعزع ، وسيتابعون موقفهم هذا إلى نهاية الطريق، وبمزيد من الإصرار، ونكران الذات.

وثمة آخرون يدعون إلى [الاعتدال]، لكنهم رغم نياتهم الحسنة، يلتقون مع الفريق الأول في نتيجة واحدة، هي وضع السلطة في موضع صعب لا يأتلف مع واقع العراق، وهو بالتالي يساهم في عزل السلطة عن الجماهير الشعبية الواسعة، ويضعف كفاءتها القيادية

إن هؤلاء مثلاً، يصرون على إبعاد الشيوعيين والتقدميين والعناصر الديمقراطية الكفوءة عن الحكم، وذريعتهم في ذلك هو تحاشي استفزاز المستعمرين.

إن الإنسان السوي لا يحتاج إلى أعمال الفكر لكي يدرك بوضوح أن المستعمرين قد استفزوا، وروعوا وانتهى الأمر منذُ صبيحة 14 تموز.

لقد استفزوا منذُ أن دُكت هياكل نظامهم الاستعماري، وأبيد عملائهم صبيحة 14 تموز. وإن عدوهم اللدود الذي أستفزهم هو عبد الكريم قاسم وصحبه، وليس الشيوعيين وحدهم، ولذلك عملوا، وسوف يعملون كل ما في وسعهم لتحطيم النظام الذي قام على أنقاض نظامهم البائد، ومصالحهم الزائلة، وإن كانوا لم يستطيعوا حتى الآن أن يبلغوا هدفهم، فليس ذلك إلا لأن يدٍ قديرة ماحقة ستلطمهم، ولأن الشعب العراقي وجيشه يقفان حارسان قويان على مصائر الوطن.

إن تجربة سوريا، ومصر، وإندونيسيا، وإيران، والأردن، وكل بلد أنتزع حريته من بين مخالب الوحش الاستعماري، تدل دلالة قاطعة على أن المستعمرين لا يرتضون بأقل من عودة نظام عبوديتهم القديم، بقيادة صنائعهم وأذنابهم، كما تدل هذه التجارب على أن المراضاة، والمصانعة لا تجدي مع المستعمرين.

إن ثورة العراق الظافرة قد جاءت ضربة موجعة وهائلة للمستعمرين وأعوانهم، ولذلك فسيظل العراق هدفاً لمؤامراتهم، وعدوانهم، سواء أتجه الحكم نحو إشراك التقدميين في الحكم، أو سار في طريق المراضاة، والمصانعة

تلك هي مسألة فوق الجدل، وفوق كل ريب. إن تهويشات عملاء الاستعمار في الداخل ضد الخطر الشيوعي المزعوم، وسعيهم المحموم لإبعاد التقدميين، والشيوعيين، والديمقراطيين، والعناصر النظيفة والكفوءة عن المساهمة في أجهزة السلطة، ليس إلا تنفيذاً أميناً لخطط الاستعمار الرامية إلى إضعاف السلطة تمهيداً لضربها، وإسقاطها

إن دعاة " الاعتدال " و" تحاشي استفزاز العدو" ، رغم نياتهم الحسنة، هم على خطأ بّين، وسيظلون ينقبون عبثاً، ودونما طائل، عن عناصر معتدلة، لا حزبية، غير مشهورة بأفكارها التقدمية، كفوءة، ومخلصة، ونزيهة!!.

إن مثل هذه العناصر الفريدة موجودة فعلاً، لكنها غير موجودة إلا في أوساط الحركة الديمقراطية، وأوساط الشيوعيين، والحزب الوطني الديمقراطي، والجيش، والديمقراطيين المستقلين، والقوميين الحقيقيين النظيفين

هذا هو الطريق الوحيد، والصحيح، والمؤتلف مع حقيقة الواقع، إن هذا هو الحل الجلي والصائب لمسألة الحكم، وإن الأخذ بهذا الواقع هو الذي سيرسي قواعد الحكم على أسس ديمقراطية وطيدة، ويهيئ لقيادة البلاد جهازاً كفواً، فعالاً ومخلصاً، يأخذ على عاتقة نصيبه من مهام قيادة الحكم، ويوفر لزعيم البلاد معالجة مسائل السياسة العليا للبلاد

إننا أيها الأخ الكريم، إذ نضع أمامكم هذه الحقائق، نرجو أن تكونوا على يقين أننا لا نفكر قط بأنفسنا، ولا نجني أي مكاسب حزبية، وإنما نفكر أولاً وقبل كل شيء بمصلحة البلاد، بنجاح الثورة، بترصين الحكم الوطني، والسير معكم نحو الظفر النهائي، هذا وتفضلوا بقبول خالص اعتزازنا، واحترامنا

المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي

15 تشرين الثاني 1958

*** شهادة عدنان جليميران عضو اللجنة المحلية للحزب الشيوعي العراقي

أعترف بتاريخ **28** آذار/ مارس **1963**م بما يلي: في رأيي ان أبرز الجرائم التي نتحمل نحن الشيوعيين مسؤوليتها الكاملة مجزرة الموصل ومذبحة كركوك، ففي الموصل كانت لدى الحزب أوامر قاطعة باتة من القيادة بإبادة القوميين حالما يتحركون، وبعد ثورة الشواف اندفعنا لتصفية القوميين واقمنا المحاكم البروليتارية التي شكلت بالجملة حيث كان كل شيوعي على رأس محكمة تحاكم وتقتل وتعلق جثثهم، وكنا نحن الشيوعيين أبطال مجزرة الدملاجة التي راح ضحيتها سبعة عشر

شخصاً انتزعناهم من الموقف بعد ان انتهى كل شيء في الموصل ، وهناك في موقع الدلاجة فتحت النار عليهم ...

شهادة واردة في كتاب : ثورة 14 تموز 1958 في العراق – ليث عبد الحسن الزبيدي

*** مقتطفات من صحيفة "إتحاد الشعب" لسان حال الحزب الشيوعي العراقي في عددها الصادر في 13 / 3 / 1959

علقت وسحبت جثث المجرمين القتلة في مدن الموصل وقراها وانجلت المعركة فإذا بالعشرات من المجرمين الشرسين العتاة مدنيين وعسكريين صرعى في دورهم أو على قارعة الطريق في الموصل وتلعفر وعقرة وزاخو وفي كل زاوية ...

وفي مقال آخر بتاريخ 16 / 3 / 1959 نقرا فيه : لنا من الاعمال البطولية في الموصل خبرة وافرة في سحق الخونة .. إنَّ مؤامرة الموصل وسحقها وسحل جثث الخونة في الشوارع ستكون درساً قاسياً للمتآمرين وضربة بوجه دعاة القومية) ، وهكذا تحول الصراع السياسي الى صراع دموي رهيب واسع النطاق ...

*** مذكرة الحزب الشيوعي لعبد الكريم قاسم في 11 آب / اغسطس 1958م :

جاء فيها : هذه هي الظروف التي تعيش فيها منظماتنا الديمقراطية اليوم في الوقت الذي اكدتم مراراً ولازلتم تؤكدون وتثمنون الدور البطولي الذي قامت به من اجل صيانة الجمهورية ودعم مسيرتها الظافرة وخاصة الدور المجيد الذي قامت به في احباط مؤامرة الشواف وانقاذ الجمهورية وجماهير الشعب من تلك الشراذم الفوضوية المتعطشة للدماء والتدمير. ان هذه المنظمات اثبتت اخلاصها باستجابتها السريعة لندائكم من اذاعة الجمهورية العراقية على اثر اعلان العصيان المشؤوم في الموصل، اذ نفذت بابداع وتفان ونكران ذات ما جاء في ندائكم بالقضاء على تلك الشراذم، كما وانها قامت بدور فعال في انقاذ ارواح المئات من المواطنين وصيانة ممتلكاتهم بعد ان فقد الامن في مدينتنا عدة ايام، وكانت هي وافراد جيشنا المقدام الحصن المنيع الذي تحطمت امامه تلك المؤامرة الدنيئة ...